

95

قصص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (39)

المخلفون

بإسلامه أمة جديدة الحميد صلي الله عليه وسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشرف الأنبياء وأحسبهم





رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ (تَبُوكَ)
وَجَلَسَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَجَاءَهُ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْخُرُوجِ
مَعَهُ لِلْغَزْوِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَخَذُوا يُبَدُونَ الْأَعْذَارَ
الْكَاذِبَةَ ، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ، وَيَطْلُبُونَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ
أَنْ يَقْبَلَ أَعْذَارَهُمْ وَيَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ،
فَقَبِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَوْكَلَ
أَمْرَ سَرَائِرِهِمْ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ..

وعلم (كعب بن مالك) و (مرارة بن الربيع) و (هلال بن أمية) رضي الله عنهم بعودة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وكانوا مؤمنين صادقين ، وتخلفوا عن الغزو دون عذر أو سبب مقبول ، فتوجهوا إلى رسول الله ﷺ في المسجد ليعتذروا له عن تخلفهم ..

كان (كعب بن مالك) رضي الله عنه مؤمنا صادق الإيمان ، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة عزاها أبدا سوى غزوة واحدة هي غزوة (بدر) وهي الغزوة التي لم يعاتب الله ورسوله أحدا تخلف عنها ، لأن الرسول ﷺ كان قد خرج مع أصحابه يريدون الاستيلاء على قافلة (قريش) التجارية ، ولكن القافلة نجت ، وجمع الله بين المسلمين وجيش (قريش) على غير ميعاد أو تخطيط من المسلمين ..

وقد شهد (كعب بن مالك) رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ (بيعة العقبة) .. وحين تخلف عن الخروج للغزو مع رسول الله ﷺ في غزوة (تبوك) لم يكن

أَقْوَى وَلَا أُيَسَّرُ مِنْهُ حَالًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ،
فَقَدْ كَانَ لَدَيْهِ سِلَاحُهُ وَنَاقَتُهُ الَّتِي سَيَسَافِرُ عَلَيْهَا ،
وَلَمْ يَكُنْ يَنْقُصُهُ سِوَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ
وَيَشْتَرِيَ الطَّعَامَ وَبَعْضَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا
لِيَكُونَ جَاهِزًا لِلْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

تَجْهِّزُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَجْهِّزُ الْمُسْلِمُونَ ،
وَأَصْبَحُوا جَاهِزِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَى (تَبُوكَ) ..

وَأَخَذَ (كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ) ﷺ يَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ
لِيَشْتَرِيَ حَاجَتَهُ ، لَكِنَّهُ يَعُودُ وَلَمْ يَشْتَرِ شَيْئًا ،
فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :

- أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَوْفَ أَنْتَهِيَ غَدًا مِنْ
تَجْهِّيزِ نَفْسِي لِلسَّفَرِ ..

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ الَّتِي حَدَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِلْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى يُجْهِّزُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَلَمْ يَتِمَّ كُنْ
(كَعْبُ) ﷺ مِنْ إِنْجَازِ ذَلِكَ ، حَتَّى خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِالنَّاسِ قَاصِدًا (تَبُوكَ) ، فَقَالَ (كَعْبُ) ﷺ :

- بعد يوم أو يومين أنتهى من تجهيز نفسه ، وأخرج
لألحق بهم ..

وفى اليوم التالى ذهب (كعب) رضي الله عنه إلى السوق ، ثم
رجع ولم يقض شيئا .. وفى اليوم الثالث حدث نفس
الشيء ..

وهكذا مضى اليوم بعد الآخر ، حتى ابتعد جيش
رسول الله ﷺ عن المدينة بمسافة كبيرة ، وهم
(كعب) رضي الله عنه أن يركب بعيره ويرحل ، ليلاحق بهم فى
الطريق ، لكنه غير رأيه ، وتراجع عن فكرة السفر
تماما ..



وما حدث لـ (كعب بن مالك) حدث لـ (مرارة بن الربيع) و (هلال بن أمية) .. وهكذا بقي الثلاثة في المدينة، ولم يخرجوا للغزو مع رسول الله ﷺ .. وأخذ (كعب) يخرج من بيته إلى شوارع المدينة وطرقاتها، فلا يرى أحداً من المسلمين تخلف عن الخروج للغزو مع رسول الله ﷺ سوى الشيوخ والمرضى والضعفاء والنساء والأطفال وهؤلاء الفقراء الذين لم يجدوا دابة يسافرون عليها، والمنافقين الذين تخلفوا بدون عذر .. وكلما رأى هؤلاء حزن ولام نفسه، قائلاً :

- ليتني خرجت معهم .. ليتني خرجت معهم ..

وأخذ (كعب) يتذكر تخلفه عن الخروج للغزو في سبيل الله، ويقول في حزن :

- إذا عاد رسول الله ﷺ من غزوه غداً ماذا أقول له ؟

كيف أبرر تخلفي عن الغزو، حتى أنجو من

غضبه على ؟

وَأَخَذَ (كَعْبٌ) ﷺ يُقَلِّبُ الْأَفْكَارَ فِي رَأْسِهِ ،
وَيَسْتَشِيرُ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فِيمَا يَقُولُهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
أَلْهِمَ اللَّهُ (كَعْبًا) ﷺ أَنْ يَقُولَ الصَّدَقَ ، وَعَلِمَ
(كَعْبٌ) ﷺ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِالصَّدَقِ ..

وَهَكَذَا تَوَجَّهَ (كَعْبٌ) ﷺ مَعَ مَنْ تَوَجَّهَ ، لِيَعْتَذِرَ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الرَّسُولُ ﷺ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ
يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، فَجَلَسَ (كَعْبٌ) ﷺ أَمَامَهُ ، وَقَالَ لَهُ
الرَّسُولُ ﷺ :

« مَا خَلَّفَكَ ۱۹ » .

فَقَالَ (كَعْبٌ) ﷺ :

« إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ
الدُّنْيَا ، لَخَرَجْتُ مِنْ غَضَبِهِ بِعُذْرٍ مَقْبُولٍ ، وَلَكِنِّي
قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ حَدَّثْتُكَ الْآنَ حَدِيثًا كَاذِبًا لَتَرْضَى
عَنِّي ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَيَفْضَحُ كَذِبِي ، وَلِهَذَا فَقَدْ
جِئْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثَ صَدَقٍ .. وَاللَّهِ مَا كَانَ

لِي عُدْرٍ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ ، وَمَا كُنْتُ
أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتَ عَنْكَ ..
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقْتُ فِيهِ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
فِيكَ » ..

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسُ الْكَلَامِ لِكُلِّ مَنْ (مِرَارَةً
بَنِ الرَّبِيعِ) وَ (هَلَالِ بْنِ أُمِيَّةَ) ﷺ لِأَنَّهُمَا صَدَقَاهُ
وَلَمْ يَكْذِبَا عَلَيْهِ ..

خَرَجَ (كَعْبٌ) ﷺ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَخَرَجَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ (بَنِي سَلَمَةَ) ، فَقَالُوا لَهُ :

« مَا عَلِمْنَا أَنَّكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا .. كَيْفَ
عَجَزْتَ أَنْ تَعْتَذِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعُذْرٍ يَقْبَلُهُ مِنْكَ ،
وَيَسْتَغْفِرُ لَكَ . كَمَا اسْتَغْفِرُ لِلْمُخَلْفِينَ غَيْرَكَ
وَسَامِحَهُمْ .. »

وَمَا زَالُوا يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثَ ، حَتَّى هَمَّ
(كَعْبٌ) ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

وَيَعْتَذِرُ لَهُ بِمِثْلِ مَا اعْتَذَرَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ
أَنَّهُ عَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى قَوْلِ الصَّدَقِ ، فَعَدَلَ عَنْ رَأْيِهِ ،
وَسَأَلَ مَنْ حَوْلَهُ ، قَائِلًا :

- هَلْ حَدَّثَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِي مَا حَدَّثَ لِي ؟
فَقَالُوا لَهُ :

- نَعَمْ ، (مِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ) وَ (هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا قُلْتَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُمَا الرَّسُولُ ﷺ
مِثْلَ مَا قَالَ لَكَ ..



فَقَالَ (كَعْبٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- رَجُلَانِ صَالِحَانِ ، فِيهِمَا أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ إِلَى هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ وَطَلَبَ اعْتَزَالَهُمْ وَعَدِمَ التَّعَامُلَ مَعَهُمْ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي أَمْرِهِمْ .. فَشَعَرُوا بِأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا رَحِبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ..

وَالْتَزَمَ كُلٌّ مِنْ (مِرَارَةَ) وَ (هَلَالٍ) بَيْتَهُ وَلَمْ يُغَادِرْهُ ..

أَمَّا (كَعْبٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، وَيَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ ، فَلَا يَكَلِّمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَلْقَى السَّلَامَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :

- هَلْ حَرَّكَ الرَّسُولُ ﷺ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ؟ !

وَعِنْدَمَا طَالَتْ عُزْلَةُ الْمُسْلِمِينَ لـ (كَعْبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذهب إلى بيت ابن عمه (أبي قتادة) رضي الله عنه - وكان
أحب الناس إليه - فسلم عليه ، ولم يرد (أبو قتادة) رضي الله عنه
عليه السلام ، فقال له (كعب) رضي الله عنه .
- يا أبا قتادة ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟
فسكت (أبو قتادة) رضي الله عنه ولم يرد عليه ، فكرر
عليه السؤال ثلاث مرات ، فقال (أبو قتادة) رضي الله عنه .
- الله ورسوله أعلم ..

فماضت عينا (كعب) رضي الله عنه بالدمع ، وخرج من
عند ابن عمه قاصدا السوق ، فرأى رجلا من الروم
يطوف بالسوق ، وسمعه ينادي ، قائلا .
- من يدلني على (كعب بن مالك) .. من يدلني
على (كعب بن مالك) ؟

وأحد الناس يشيرون إلى (كعب) رضي الله عنه ودلوا
الرجل عليه ، فلما جاء الرجل إلى (كعب) رضي الله عنه
أعطاه رسالة مكتوبة في قطعة من الحرير .

أرسلها له ملك (غسان) فقرأ (كعب) رحمته
الرسالة فإذا هي مكتوب فيها :

- قد بلغنا أن صاحبك ، قد حفاك ، ولم يجعلك
الله بدار هوان ولا مصيعة ، فالحق بنا نواسك ..
فقال (كعب) رحمته بعد أن قرأ الرسالة :

- لا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذا أيضا من البلاء ..
لقد طمع في رجل من أهل الشرك ..

وحرق (كعب) رحمته الرسالة في الحال ..
واستمر الحال بالثلاثة أربعين يوما وليلة ، ثم
أرسل رسول الله ﷺ إلى (كعب) رحمته من يقول له :
- رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل زوجتك ..

فقال (كعب) رحمته :
- هل أطلقها أم ماذا ؟ !
فقال الرجل :

- بل تعتزلها ولا تقربها ..

فَقَالَ (كَعْبٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرُؤُوسِهِ :

- اذْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ وَأَمْكِي عِنْدَهُمْ ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
- تَعَالَى - فِي الْأَمْرِ مَا هُوَ قَاضٍ ..

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى (مِرَارَةَ) وَ (هِلَالٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
أَنْ يَعْتَزِلَ كُلُّ مَنَّهُمَا زَوْجَتَهُ ..

وَمَضَى عَلَى الْمُخْلَفِينَ الثَّلَاثَةَ خَمْسُونَ يَوْمًا ، مِنْذُ
نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ إِلَيْهِمْ ،



فعاشوا هذه الفترة في كرب وشدة ، ودُعَاء
إلى الله وتوسل أن يتوب عليهم ..

وفي الليلة الخمسين كان (كعب) رضي الله عنه قد انتهى
من صلاة الصبح في بيته ، وخرج ليجلس في خيمة
منصوبة خارج البيت ، فسمع مناديا ينادى بأعلى
صوته :

- يا (كعب بن مالك) ، أبشر ..

فعرف (كعب) رضي الله عنه أن الفرج قد جاءه ، وخر
ساجدا لله ..

وما إن انتهى من سجوده حتى رأى فارسا من
المسلمين على فرسه يبشره بالثوبة ، فزع (كعب) رضي الله عنه
ثوبيه وأعطاهما للرجل على البشارة ، وهو لا يملك
ثوبين غيرهما ، ثم استعار ثوبين فلبسهما وتوجه
إلى رسول الله ﷺ ..

وذهب مسلمون آخرون يبشرون (مزارعة)
و (هلالا) رضي الله عنه ..

وَلَمَّا دَخَلَ (كَعْبٌ) الْمَسْجِدَ أَخَذَ
الْمُسْلِمُونَ يَهْنَأُونَهُ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ ﷺ ،
وَوَجْهَهُ يَشْرِقُ بِالضِّيَاءِ :

« أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ » ..
فَقَالَ (كَعْبٌ) ﷺ :

« هَلْ هَذِهِ التَّوْبَةُ مِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمْ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ؟ »



فَقَالَ ﷺ :

« بَلَّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ .. »

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى رَسُولِهِ قُرْآنًا يُعَلِّمُهُ فِيهِ
بَتَوْبَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي غَزْوَةٍ
(تَبُوكَ) ، وَعَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ، وَفَضَحَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ ..

وَهَكَذَا كَانَ الصَّدَقُ سَبَبًا فِي نَجَاةِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
الْثَّلَاثَةِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإجازة : ٢٠٠٤٣٣٧٨

الترقيم الدولي : ٩٧٩ - ٢٧٨ - ١٤٠٦١

فَصْرُ الْأَنْبِيَاءِ

• الْكِتَابُ الثَّانِي •

مَحْمَدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(٤٠) عَامُ الْوَفُودِ

• ادرج على اقتنائه •